

تهجير الأندلسيين إلى بلاد المغرب الاسلامي خلال القرنين 13 و14م

قراءة في الأسباب، المسارات والانعكاسات

The Expulsion of the Andalusians to the Islamic Maghreb during the 13th and 14th Centuries: A Critical Examination of the Causes, Trajectories, and Implications

د. عبد الجبار صديقي^{1*}، د. بوبكر زاوي²

¹ المركز الجامعي نور البشير- البيض (الجزائر)، a.seddiki@cu-elbayadh.dz

² المركز الجامعي نور البشير- البيض (الجزائر)، b.zaoui@cu-elbayadh.dz

ORCID iD¹: 0009-0001-8133-3565

ORCID iD²: 0009-0006-7832-8630

تاريخ النشر: 2025/12/27

تاريخ القبول: 2025/12/05

تاريخ الاستلام: 2025/08/27

ملخص: تهدف هذه المساهمة العلمية إلى تعميق البحوث حول التهجير الذي تعرض له أهل الأندلس في المرحلة ما بين القرنين 13م و14م، وهي المرحلة التي شهدت حالة ضعف سياسي واضح لدول الغرب الإسلامي، حيث حرصنا على تتبع الظروف السياسية والعسكرية التي دفعت نحو تلك الهجرة، فضلاً عن رصد أماكن استقرارهم ومساراتهم المهنية والاجتماعية بالعدوة المغربية، خاصة ما تعلق بموقف حكام الدول المغربية منهم، وقد خلص البحث إلى أنه ورغم المأساة الانسانية التي تعرض لها سكان الأندلس، إلا أنهم سرعان ما اندمجوا في الحياة العامة بمختلف مجالاتها، وأسهموا مساهمة نوعية في الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بمختلف الحواضر الكبرى كتونس وتلمسان وفاس. كلمات مفتاحية: تهجير؛ الأندلس؛ المغرب الإسلامي؛ حروب الاسترداد؛ المأساة.

Abstract: This scientific contribution seeks to deepen research on the displacement experienced by the people of al-Andalus during the period between the 13th and 14th centuries, a stage marked by a clear political weakness of the states of the Islamic West. In this context, we endeavored to trace the political and military circumstances that prompted this migration, in addition to identifying their places of settlement and their professional and social trajectories in the Maghreb, particularly with regard to the stance of the rulers of the Maghrebi states toward them.

The study concludes that, despite the humanitarian tragedy endured by the inhabitants of al-Andalus, they quickly integrated into public life in its various dimensions. They made significant contributions to political, economic, social, and cultural spheres across major urban centers such as Tunis, Tlemcen, and Fez.

Keywords: expulsion; Al-Andalus; the Islamic Maghreb; the Reconquista; the tragedy.

1. مقدمة:

ساهم القرب الجغرافي بين شبه الجزيرة الايبيرية وشمال إفريقيا في نشاط حركة التواصل البشري بين ضفتي الحوض الغربي للمتوسط، منذ أقدم العصور، خاصة خلال العصر الوسيط، الذي شهد توسع الدولة الإسلامية شرقا وغربا، وكان من ذلك ضم شبه الجزيرة الايبيرية إلى حوزة الإسلام، ما دفع نحو سهولة التواصل خاصة مع كون المنطقتين تشتركان في العديد من الخصائص المشتركة كوحدة الدين والمذهب، وتشابه العادات والتقاليد واللهجات، واستمر الوضع في ليونة وسلاسة التحركات البشرية البينية، إلى ما بعد سقوط دولة الموحدين، حيث تنامت حركة الاسترداد خلال القرنين 07هـ- 08هـ/ 13 و14م من طرف الممالك النصرانية في شمال شبه الجزيرة، ما دفع نحو هجرة قصيرة لكتل بشرية هائلة كانت بحق تكون مجتمعات محلية أندلسية ذات خصوصية معينة، وهو الأمر الذي أدى إلى تغيرات اجتماعية وثقافية وسياسية عميقة في المنطقتين، وعلى وجه الخصوص بلاد المغرب الإسلامي بلد الوفود، وعليه جاءت إشكالية هذه الورقة البحثية لتتمحور حول أسباب هذه الحركة البشرية واتجاهاتها والانعكاسات التي نجمت عنها.

تهدف هذه الورقة البحثية كذلك إلى تتبع مساراتها وتحليل دوافعها والانعكاسات التي انجرت عنها في بلاد المغرب وذلك عن طريق قراءة تحليلية نزع منها تقدم إضافة إلى حقل البحث في هذا الموضوع.

خلال هذه الدراسة اعتمدنا على منهجية تجمع بين المنهج الوصفي لتتبع مسارات الهجرة والمنهج التحليلي من خلال دراسة الأسباب التي أدت إلى هذه الهجرة والانعكاسات التي انجرت عنها.

2. أسباب الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب:

جاءت التحركات السكانية في أواخر عهد الموحدين كنتيجة حتمية للازمات التي ارتبطت بمرحلة ضعف الدولة وانهارها، حيث تأثر السكان بالتحركات العسكرية والثورات المستمرة على الموحدين (ثورة عبد الله البياسي سنة 1225م، ثورة محمد بن هود

1228م...)، وتسارع حركة الاسترداد في الأندلس (شقرون، 1985، صفحة 33)، ما أفضى إلى حالة من انعدام الأمن والخراب الاقتصادي والعمراني، انعدمت معه السلع وتوالى المجاعات، وسنوات القحط والجفاف، والغلاء فكانت الهجرة نتيجة طبيعية لكل هذه الظروف (سكاكو، 2014/2013، صفحة 113)، إذ لم يبق أمام الناس سوى الفرار بأنفسهم من هذا الواقع المزري، ومصدق ذلك ما أكدته الحميري في قوله: "فكان الضعفاء يخرجون على الأبواب فإن البلد ضاق بهم فآثروا الفرار بأنفسهم ولم يبق بالبلد إلا الأقل ممن لا يستطيع خروجها" (بياض، 2008، صفحة 220)، ويشير نفس المؤرخ إلى المجاعات التي ألت بمالقة وقرطبة عام 1236م وتسببت في هجرة سكان المدينتين نحو بلاد المغرب جماعات وفردى، بقوله: "ولقد طحنتها النوائب، وعورتها المصائب، وتوالى عليها الشدائد والأحداث فلم يبق من أهلها إلا البشر اليسير على كبر اسمها وضخامة حالها" (الحميري، 1984، صفحة 485).

تجدر الإشارة إلى أن حروب الاسترداد التي انتهت بالسيطرة على عدة مدن أندلسية صحبتها حملات ترحيل قصري وإفراغ للمدن من سكانها المسلمين وهذا ما أشار إليه ابن الأبار في معرض حديثه عن ما تعرض تأريخه لحروب الاستيراد إذ يذكر أنه بعد سيطرة ما أسماهم بالروم على شاطبة وما جاورها قاموا بإجلاء سكانها (الأبار، الحلة السراء، 1963، صفحة 303) ويعود نفس المؤرخ لذكر أحداث مشابهة في جزيرة شقر (الأبار، 1963، صفحة 303) وبلنسية (الأبار، التكملة لكتاب الصلة، 1995، صفحة 125).

إضافة إلى ما سبق تسببت هزيمة الموحدين في معركة العقاب 1212م في انكسار عسكري ونفسي كبير كان من نتائجه السياسية المباشرة اهتزاز هيبة الدولة الموحدية، وبداية تقلص رقعتها في الأندلس من جراء الشعور السائد لدى القوى الإقليمية بأن الموحدين لم يعودوا قادرين على حماية الأرض التابعة لهم، فانتهزت القوى المناوئة الفرصة للتوسع على حساب أراضي الموحدين (زنيبر، 1994، صفحة 09) فقد ضمن هذا الانتصار في هذه الموقعة للنصارى تفوقهم السياسي والعسكري في شبه الجزيرة، وفتح المجال أمامهم لتوسيع غزوات الاسترداد (القرطوطي، 2004، صفحة 236).

وأمام تهاوى سلطان الموحدين بالأندلس بفعل تسارع حركة الاسترداد باتت تلوح بوادر الاضطهاد بتحريض من الكنيسة بقيادة رجال دين معروفين كالبابا إنوسنت الثالث (1198-1216) ورودريغو خيمينيز دي رادا (ت.1247م) اللذين كان لهم دور مهم في تحريض الملوك الاسبان على المسلمين ومباركة غزواتهم ضدهم (O 'Callaghan, 1975, pp. 248-255) فكانت النتيجة أن ارتفعت أصوات الفقهاء المسلمين تدعو إلى الهجرة المسلمين من المدن التي سقطت خوفا من أحكام النصارى التي تجري عليهم وتغير سيرهم ولسانه وعاداتهم بطول السنين وخوفا من المغارم المجحفة التي تؤدي إلى استغراق المال والخوف من الفتنة في الدين (دندش، 1995، صفحة 113)، فهاجرت أعداد غفيرة من المسلمين فارين من مدنهم الأندلسية التي سقطت في أيدي النصارى نحو المناطق التي كانت لا تزال تحت سيطرة المسلمين في الأندلس كغرناطة (عنان، 1990، صفحة 92/93) التي ضاقت بالمهاجرين إليها الذين بلغ عددهم تقريبا ست مئة ألف نسمة مشكلة بذلك إحدى أضخم التجمعات السكانية في العالم في هذه الفترة، ونحو العدو المغربية التي كانت لهؤلاء المهاجرين ملاذا آمنا (شقرون م.، 1985، صفحة 33).

وأمام عجز الموحدين عن صد العدوان النصراني أصدر الخليفة الموحي الرشيد أمرا سنة 1237م يقضي بتهجير جماعي للسكان شرق الأندلس خاصة من مدينة بلنسية صوب المغرب الأقصى لتعمير مدينة رباط الفتح ومما جاء في نص هذا القرار: " وإِتْخَاذِ مَسَاكِنِهَا وَأَرْضِهَا بِدَلَا مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَأَرْضِهِمْ ... وَأَنْ يَتَوَسَّعُوا فِي الْحَرْثِ .. وَيَتَأَثَّرُوا الْأَمْلاَكُ لِأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَأَوْلَادِ أَوْلَادِهِمْ " (عنان، دولة الإسلام في الأندلس، 1990، صفحة 737/738)، ويعتبر هذا الإجراء الموحي من العوامل التي ساهمت في تشجيع الهجرة الأندلسية نحو المغرب.

من المؤكد أن الأندلسيين لم تكن لهم القدرة على الاستمرار في مدنهم بأية صورة من الصور بسبب حروب الاسترداد وما صاحبها من اضطهاد للمسلمين وحالة الفوضى السياسية التي عمت الأندلس بسبب انهيار دولة الموحدين وما تبع ذلك من استفحال الأمراض والأوبئة، وانتشار الجوع والفقر الشديد، وارتفاع الأسعار وغلائها، وانعدام مصادر النقد من الصناعة

والتجارة والزراعة، وعليه فإن هذه الأحوال المزرية كانت عاملا قويا وأداة ضغط أجبرت الأندلسيين على الهجرة إما نحو المدن الأندلسية التي لم تزل آمنة من العدوان، أو النزوح الجماعي باتجاه الحواضر الحفصية والزيانية والمرينية (سعداني، 2017، صفحة 79).

3. المهجّرون من الأندلس: اتجاهاتهم ومواطن استقرارهم:

يعد أمر تحديد هذه المجموعات الأندلسية المهاجرة، أو أعدادها ونسبتها المقدرة بين السكان صعبا بسبب الشح في الوثائق والنصوص التي تشير إلى ذلك بالتحديد غير أنه يمكن القول أن التحركات الأندلسية الكبرى باتجاه المغرب الإسلامي وقعت في القرن الثالث عشر عندما سقطت قرطبة وإشبيلية ومدن أخرى كبلنسية وشاطبة ودانية في يد النصارى إذ يعتقد أن عدد النازحين نتيجة لذلك وصل إلى مئات الآلاف (مريم، 2010، صفحة 37)، منها ما يقارب خمسون ألفا من بلنسية و أربع مئة ألف من إشبيلية (حجي، 1981، صفحة 482/478) حيث تحرك المسلمون بأعداد كبيرة إلى غرناطة أولا ومن هناك إلى بلاد المغرب (الطالبي، 1975، صفحة 75).

كان معظم المهاجرين من الأسر والشخصيات الأندلسية العريقة التي لعبت دورا مؤثرا في تاريخ الأندلس السياسي والثقافي والاقتصادي (بوعامر، 2010، صفحة 47)، ومن بين هذه الأسر أسرة ابن الأبار الذين غادروا الأندلس سنة 1240م مباشرة بعد سقوط بلنسية وفضلوا الإقامة في ظل الحفصيين، حيث اتجهوا إلى بجاية ثم إلى تونس (برنشفيك، 1988، صفحة 427)، ثم تأتي الهجرة الثانية القادمة من غرب الأندلس بعد سقوط إشبيلية سنة 1249م، وقد أشار ابن خلدون إلى أن أهل إشبيلية كانت لهم حضوة من بين أهل الأندلس وصلة بالأمير أبي زكريا بن عبد الواحد بن أبي حفص (خلدون ا، 2000، صفحة 437)، ومن بين الأسر الأندلسية العريقة التي هاجرت إلى المغرب ضمن المجموعة الثانية أسرة ابن الدباغ التي تمتعت بمكانة خاصة عند أبي زكريا الحفصي، ويشير ابن خلدون إلى ذلك فيقول: "وكان من خبر ابن الدباغ هذا أن إبراهيم أباه وفد على تونس في جالية إشبيلية سنة ستة وأربعين وسبع مئة، فولد هو بتونس ونشأ بها..." (خلدون ا، العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، 2000، صفحة 465)، ومن بين أهم الأسر التي هاجرت نحو بلاد المغرب وبالتحديد إلى بجاية، أسرة ابن سيد الناس التي بلغت مبلغا عظيما

في الدولة الحفصية حيث تقلد أفرادها وظائف مهمة في تسيير شؤون الدولة ويشير ابن خلدون إلى أصل هذه الأسرة في حديثه عن ولاية أبي فارس فيقول: " .. ذلك أن أباهما أبا بكر بن سيد الناس كان من بيوت إشبيلية حافظا للحديث روايا له ، ظاهريا في الفقه على مذهب داود و أصحابه "(ابن خلدون، العبر: صفحة 437).

ويذكر ابن خلدون كذلك الوافدين الأندلسيين على المملكة الزيانية، وهم مجموعتان: المجموعة الأولى أتت من شرق الأندلس في عهد يغمراسن (ت 680هـ/ 1283م)، وقد ذكرها في قوله: "ووفد على الأمير الزياني يغمراسن لأول دولته ابن وضاح إثر سقوط الموحيدين، أجاز البحر مع جالية المسلمين من شرق الأندلس فآثره و قرب مجلسه وأكرم نزله وأحلّه من الخلّة والشورى بمكان اصطفاه له"، والمجموعة الثانية كانت من أهل قرطبة، لهذا وصفها بـ "جالية قرطبة" حيث قال عند حديثه عن أصل أسرة بني ملاح القرطبية: "وهم أهل بيت من قرطبة ... نزل أولهم بتلمسان مع جالية قرطبة" (خلدون ا.، . العبر ج 07، صفحة 141)، ويلاحظ هنا أن ابن خلدون يعبر دائما عن المجموعات الأندلسية المهاجرة إلى العدو المغربية بـ "الجالية" ومعنى ذلك أن النزوح من بلاد الأندلس إلى العدو المغربية كان في هذه المرحلة جماعيا وبأعداد كبيرة (سعداني، الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط، 2017، صفحة 141)، ومن الأسر الأندلسية التي كان لها مكانة ونباهة في الدولة الزيانية بيت الأبلي وهي أسرة حلت بتلمسان قادمة من مدينة صغيرة أبلة في ضواحي مدريد، لكننا لم نقف على ظروف هجرتها وما صاحبها من أحداث ما عدا ما أشرنا إليه (محمد، 2013، صفحة 82). حواضر المغرب الأقصى بدورها استقبلت عدد من الأسر الأندلسية التي كان لها تأثير ملحوظ على الحياة العلمية والسياسية نذكر منها على سبيل الاستشهاد آل الخطيب الذين هاجروا من غرناطة إلى فاس بعد تدهور الأوضاع الأمنية فيها فبعد تعيين لسان الدين بن الخطيب وزيرا من قبل الأمير المريني أبو فارس، أمر هذا الأخير شخصا باستقدام عائلته من غرناطة ونقلها إلى فاس سنة 1371م (قاهر، صفحة 10).

لم تقتصر الهجرة من الأندلس إلى بلاد المغرب على الأسر والجماعات بل كان هناك نوع آخر من الهجرة تمثل في الهجرة الفردية سجل منها التاريخ هجرة شخصيات مهمة كان لها تأثير دور في المناطق التي نزلوا بها ونذكر من هؤلاء العالم والمحدث أحمد بن محمد القرشي الغرناطي الذي نزل ببجاية (الغبريني، 1981، صفحة 347) واسحاق بن محمد بن علي

العبدري الميورقي الذي قدم إلى تونس من بلنسية (بوعامر، صفحة 100) وعالم الفقه محمد بن عبد الله بن محمد بن عميرة الذي توجه من غرناطة إلى سبتة ثم استقر ببجاية سنة 1248م (الغبريني، صفحة 299/298) والقاضي أبوبكر الغافقي الذي استقر بتلمسان قادما من غرناطة (الزركلي، 2002، صفحة 232) والعالم المترجم علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور ت 1269م (الغبريني، صفحة 317) الذي حل ببجاية مهاجرا من اشبيلية، وفي دراسة لمحمد الحبيب خوج أحصى ما يزيد عن 35 ثلاثون عالما أندلسيا حل بإفريقية خلال القرن 12م بالاعتماد على رحلة ابن رشد، كما أحصى الغبريني في كتابه عنوان الدراية 33 عالما أندلسيا قدم إلى بجاية وحدها واستقر بها (بوعامر، صفحة 100).



الشكل 1: خريطة توضح مساهجرة الأندلسيين ومواطن استقرارهم ببلاد المغرب الإسلامي
المصدر: من إنجاز الباحث.

4. موقف حكام الدويلات المغربية من الجالية الأندلسية:

كان تعامل حكام الدويلات المغربية (الحفصية، الزيانية، المرينية) مع الهجرات الأندلسية إلى بلادهم إيجابيا بحكم روابط الدين واللغة والمذهب، وهو ما شكّل عامل جذب فعّال للأندلسيين، حيث إنهم لم يتبرموا من وجودهم، ولم يعتبروهم خطرا داهما عليهم - بل على العكس تماما - الاستقبال كان حارا والترحيب كبيرا، ثم إن هؤلاء السلاطين انتهجوا أيضا سياسة تعتمد على تنشيط الحياة العلمية والعناية بجميع الفروع العلمية والأدبية والفنية،

ورعاية العلماء والأدباء، وتشجيعهم، مما أسهم في نوع من التنافس بينها لاستقطابهم من مختلف الحواضر الأندلسية (سعداني، صفحة 126)، وهذه الرعاية والعناية بالجالية الأندلسية لم تكن باللسان فقط، بل ترجمت إلى أفعال وتسهيلات ومساعدات، ووصلت إلى حد تمليكهم الأراضي وإمدادهم بالمال والسكن، وتوظيفهم في المناصب العليا وجعلهم من الحاشية المقربة الخاصة، وقد تجلّى ذلك في موقف مؤسس الدولة الزيانية يغمراسن من ضيوفه الأندلسيين، حيث كان أول من اعتنى بالأعلام والأعيان منهم وقرّبهم إليه وأعطاهم المناصب العليا في دولته (خلدون ا. ج 07، صفحة 106)، وأصدر ظهيرا خاصا بهم منح لهم فيه الأراضي والمنازل والأموال (فيلالي، 2002، صفحة 180).

أما في إفريقية فقد تزايدت الهجرة الأندلسية إليها مع قيام الدولة الحفصية سنة 1227م، ولعل السبب وراء الإقبال الأندلسي على المجالات الحفصية، يعود للعلاقة الودية التي كانت تربط الحفصيين بأهل الأندلس، ذلك أن أسرة بني حفص قد سبق لها وأن استقرت في الأندلس خلال العهد الموحيدي، وتشرّبت من طبائع وعلوم الأندلس، مما جعل أمراء هذه الأسرة بعد تأسيس دولتهم بالمغرب الأدنى يميلون إلى الترحيب والاحتراف بكل وافد عليهم من العدو الأندلسية (رزوق، 1991، صفحة 28).

إضافة إلى ماسبق، لم تختلف سياسة الدولة المرينية في المغرب الأقصى اتجاه الأندلسيين عن نظيراتها الأخرى في بلاد المغرب من حيث الحفاوة والاكرام في اطار التنافس الذي كان بينهم من أجل جلب النخب الأندلسية، فعلى سبيل المثال عندما سمع السلطان المريني أبو سالم بالمرحنة التي تعرض لها لسان الدين بن الخطيب في غرناطة بسبب اتهامه بالتآمر على أميرها، أرسل سفيره الشريف أبو القاسم التلمساني ليتوسط له عند أمير غرناطة من أجل إطلاق سراحه والسماح له بالقدوم إلى المغرب الأقصى، وهو ما حدث فعلا حيث حلّ لسان الدين وحاشيته على فاس سنة 1358م وتذكر المصادر أن السلطان المريني أقام حفلا عظيما لاستقباله، وممّن حضر هذا الحفل و ذكر بعض مراسمه العالم الأندلسي الشهير عبد الرحمن بن خلدون (بوفلاحة، 2021، صفحة 355).

وكان مما نتج عن سياسة الدويلات المغربية المرحّبة بالهجرة الأندلسية إليها، أن امتلأت حواضرها بهم كتونس وبجاية وتلمسان وفاس وسلا والجزائر، كما وفدوا على أخرى كقسنطينة ومراكش (العروي، 2000، صفحة 204).

5. أثر الهجرة الأندلسية على بلاد المغرب الإسلامي :

تميزت الجالية الأندلسية المهاجرة إلى المغرب بتركيبتها البشرية الثرية والمتنوعة، حيث كانت من الصفوة السياسية والثقافية ومن البيوتات العريقة والعلماء الكبار والشخصيات المرموقة وأصحاب الخبرة والمهارة في الحرف ومختلف المهن، وهذه الميزة الخاصة للجالية الأندلسية الوافدة على الدويلات المغربية جعل تأثيرها في الحياة الثقافية والسياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية تأثيراً نوعياً (بلغيث، 2007، صفحة 62/63)، خاصة إذ اقترن هذا بتوظيف تلك الطاقات الأندلسية في أعلى مناصب الدولة، حيث أسندت إليهم الوزارة والحجابه والكتابة وأمانة بيت المال، والحجابه وفُوض إليهم ضرب السكة، وتولى بعضهم قيادة الجيش (سعداني، صفحة 140).

وفي هذا النطاق برزت شخصيات أندلسية ذات ثقافة عالية وتجربة كبيرة في ميدان السياسة والإدارة والقيادة، اعتلت مناصب مؤثرة في دوائر القرار المغربية، كالكاظم أبو بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي (ت 636هـ/1238م) (خلدون ا.، العبر، ج 7،، صفحة 106) وعائلة الأبلّي الذين استعملهم السلطان يغمراسن بن زيان في قيادة الجيش وإدارة المعارك وبرز منهم أبو عبد الله محمد إبراهيم بن أحمد الأبلّي ت 756هـ/1356م الذي كان قائداً بهنين مرفأ تلمسان العسكري، وكذلك أسرة بني الملاح الأندلسية القرطبية التي تمتعت بمكانة مرموقة في الدولة الزيانية في عهد السلطان أبو حمو الأول وابنه أبو تاشفين الثاني وكان مما أسند لهم سك عملة الدولة (خلدون ا.، ج 07، الصفحات 140-141)، وكان للأندلسيين مشاركة مهمة في جهاز القضاء، حيث نجد أغلب أفراد أسرة العقباني الأندلسية قد تولوا القضاء، ومن أبرزهم القاضي المجتهد سعيد بن محمد العقباني ت 811هـ-1408م، وقد اعتلى منصة القضاء في أكثر من مدينة بلاد المغرب، على امتداد أربعين سنة ونيف في كل من تلمسان وبجاية ووهران ومراكش وسلا (التنكي، 2004، صفحة 190)، ويليّه ولده القاضي قاسم بن سعيد العقباني ت 854هـ-1451م (التنكي، صفحة 365)، ثم أحمد بن القاسم بن سعيد العقباني الفقيه ت 840هـ-1437م، وهو من فقهاء المالكية وقضاة تلمسان (التنكي، صفحة 118)، وتجدر الإشارة إلى أن تأثير الأندلسيين كان أكثر وضوحاً في دولة بني

زيان بسبب انعدام التقاليد المملوكية فيها عكس دولة المرينية التي ورثت مخزن بني عبد المؤمن، والدولة الحفصية التي حافظت على النظام الحزبي الموحيدي (العروي، صفحة 204).

كما تولى الأندلسيون مناصب عليا في الدولة الحفصية وأدوا مهام مختلفة فقد تولى محمد بن عبد الله بن الأبار منصب كاتب الدولة لدى السلطان الحفصي أبو زكريا 1228-1249 (عمارة، صفحة 90)، ومن الشخصيات البارزة التي لعبت دورا هاما في البلاط الحفصي محمد بن أبي الحسن بن سيد الناس الذي تولى منصب الحاجب عند الأمير أبو زكريا (بوعامر، صفحة 114)، ومن هؤلاء أحمد بن عبد الله بن الحسن بن عميرة ت 1258م الذي تولى مناصب عدة في الدولة حيث منها قضاء مدينة قسنطينة وكاتباً لدى الأمير المستنصر الحفصي 1228-1249م (بوعامر، صفحة 117).

في البلاط المريني كذلك نجد عددا لا يستهان به من هؤلاء الأندلسيين الذين خدموا الدولة وأدوا من المهام ما جعلهم يتقلدون مناصب عالية كأبو القاسم بن يحي الغساني البرجي ت 1374م الذي حل بفاس قادما إليها من غرناطة وعمل فيها كاتباً لدى أميرها أبو عنان 1348-1358م (شقرون ا، صفحة 36)، والحسن بن عتيق بن الحسن بن الرشيقي الذي غادر مرسية ثم استقر بسبته وبعدها فاس حيث تولى هناك منصب الكاتب عند الأمير المريني يوسف 1258-1307م (القاضي، 1973، صفحة 183)، وابراهيم بن عبد الله بن محمد النيميري من أهل غرناطة حل بفاس وتولى فيها مهمة الكاتب لدى الأمير المريني أبي الحسن (القاضي، صفحة 91).

لم يقتصر استخدام حكام المغرب للأندلسيين على مناصب محدودة بل تم استخدامهم على نطاق واسع في جميع المناصب مما زاد من نفوذهم داخل بلاطات الحكم حتى أن بعضهم أصبح الموجه الأول لسياسات تلك الدول مما أدى بهم إلى التعرض للمؤامرات والدسائس كما حدث لمحمد بن أبي الحسن بن سيد الناس الذي تحول إلى مصدر إزعاج كبير لشيوخ الموحدين إلى درجة أنهم حاولوا الانقلاب على السلطان الحفصي المستنصر 1249-1277م وقد وتسبب فشل هذا الانقلاب في زيادة الاعتماد على الأندلسيين في جميع المناصب (بوعامر، صفحة 114). وتجدر الإشارة إلى أن هذه الحالة لا تشكل استثناء بل نجدها تتكرر

في جميع دول المغرب وهو ما يدل على المكانة والنفوذ والتأثير الذي حظيت به الجالية الأندلسية في الأوساط السياسية.

إضافة إلى ما سبق، كان للجالية الأندلسية تأثيرها على النشاط العلمي والأدبي والفني في عموم منطقة الغرب الإسلامي وقد أشار ابن خلدون بذلك في قوله: "وأما المغرب فانتقل إليه منذ دولة الموحدين من الأندلس حظ كبير من الحضارة واستحكمت به عوائدها بما كان لدولتهم من الاستيلاء على بلاد الأندلس وانتقل الكثير من أهلها إليهم" (خلدون ا، المقدمة، صفحة 503)، فقد وفد على حواضر المغرب عدد كبير من الأندلسيين، منهم العلماء والأدباء والفنانون والمؤكد أن الأندلسيين كانوا متميزين في العلوم والفنون والآداب والصناعات، فكان حضورهم المعرفي نوعيًا ذا فائدة كبيرة على الحركة العلمية ببلاد المغرب (سعداني، صفحة 151).

ومن أوجه الحضور العلمي للأندلسيين في المغرب اشتغالهم في مجال التعليم وهو ما ساهم في تحسين طرق التعليم ومناهجه ببلاد المغرب (سعيدوني، 1993، صفحة 81)، ومما لاشك فيه أن تميز الأندلسيين العلمي وانتشار المعرفة في صفوفهم كان سببا في تهافت طلبة العلم عليهم حتى أصبحت مهنة التدريس مهنة مرتبطة بالأندلسيين، ويروي لنا ابن خلدون الذي يعتبر شاهد عيان عن كيفية وقوع هذا التحول على يد الأندلسيين في خضم حديثه عن طرق التعليم في المغرب الأدنى فيقول: "... وأما أهل إفريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها، إلا أن عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان إياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءاته أكثر مما سواه وعنايتهم بالخط تبعا لذلك وبالجملة فطريقتهم لتعليم القرآن أقرب إلى طريقة أهل الأندلس لأن سند طريقتهم في ذلك متصل بمشيخة الأندلس الذين جازوا عند تغلب النصاري على شرق الأندلس واستقروا بتونس، وأخذ عنهم ولدانهم بعد ذلك" (خلدون ا، المقدمة، صفحة 584)، وتجدر الإشارة إلى أن سيطرة الجالية الأندلسية على التعليم وتأثيرها العميق عليه أدى إلى إندثار الخط الإفريقي في حواضر المغرب الأدنى خاصة في تونس والمهدية وحلول الخط الأندلسي محله (خلدون ا، المقدمة، صفحة 426).

ومما ميز التعليم في بلاد المغرب بعد قدوم الأندلسيين تحوله إلى مهنة مستقلة بذاتها برع فيها الأندلسيون الذين تحولوا إلى مقصد لمن يحرص على تعليم ذو جودة لأبنائهم، وتزخر

الوثائق التاريخية بعدد معتبر من العلماء الذين عملوا في ميدان التدريس نذكر منهم أبو عبد الله الشوزي الحلوي الاشبيلي الذي نزل بتلمسان ودرس في مدارسها التفسير والحديث، وابراهيم بن يوسف بن محمد بن الدهاق الذي عرف بتمكنه في علم الكلام واللغة والتفسير والتصوف ويعي بن عيسى بن الصقيل المرسي العالم المحدث الذي حل هو كذلك بتلمسان ودرس بها (مصطفى، 2022، صفحة 38).

شمل التأثير الأندلسي الميدان الأدبي حيث انتقل إلى مدن الغرب الإسلامي خاصة الساحلية منها جمع من مشاهير الأدباء والشعراء كان لهم أدوا هامة في إثراء هذا المجال ونذكر من بين هؤلاء على وجه الخصوص الشاعر، والكاتب والمؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب ت 776هـ-1374م صاحب المؤلفات العديد في شتى الفنون والعلوم أشهرها أبرزها "الإحاطة في أخبار غرناطة"، و"أعمال الأعلام فيمن بويق قبل الإحتلام من ملوك الإسلام"، وغيرها من المؤلفات التي تبلغ حوالي ستين مؤلفا بين مطبوع ومخطوط ومفقود (الزركلي، ج 6، صفحة 236)، وأبو إلياس أحمد ابن القاسم بن القصير الإشبيلي (كان حيا سنة 647هـ-1285م) الأديب الشاعر الخطاط الذي كان معلما بإشبيلية ثم طنجة ثم استوطن تونس (رزوق أ.، 1991، صفحة 38)، يضاف إلى هؤلاء الأديب والجغرافي علي بن موسى بن سعيد الغرناطي (1213-1286م) الذي نزل بتونس وله مؤلفات أدبية عدة منها "القدح المحلى" و"الغصون اليناعة في أدباء المئة السابعة". (بوعامر، صفحة 101) وقد كان لهؤلاء الشعراء دور هام في تطوير الادب في بلاد المغرب بنوعيه النثري والشعري حيث ساعدوا في ازدهار فن الترسل العام أو الخاص سواء بين الدوائر الرسمية أو الأشخاص العاديين، أما في الشعر فيظهر تأثيرهم في التأنق والتلطف وحبك النكت واستخدام المحسنات اللغوية (برنشفيك، صفحة 421).

كما ظهر تأثير الأندلسيين في إثراء علوم الدين كالفقه والتفسير والحديث والتصوف من خلال بروز الشخصيات أندلسية كان لها أدوار هامة في التأليف والتدريس والاجتهاد والافتاء، نذكر منهم: أبو العباس أحمد بن عاشر دفين سلا ت 765هـ-1364م الذي انتقل من غرناطة إلى المغرب الأقصى حيث أصبح شيخا مقصودا لطلبة العلم (الزركلي، ج 1، صفحة 187)، ومحمد بن الحسن بن محمد بن الباروني الذي كان من صدور الفقه المالكي الذين وافدوا على تلمسان قادما من غرناطة ت 724هـ - 1334 م (المقري، 1968، صفحة 236).

كما برز مجموعة من الأطباء الأندلسيين في الحواضر المغربية نشير منهم إلى أبي العباس أحمد بن خالد ت 660هـ-1262م وهو من أهل مالقة نشأ بالأندلس وتعلم بمراكش ثم انتقل إلى بجاية ودرس بها كتاب "الإرشادات و التنبيهات" لابن سينا، وأبو القاسم محمد بن محمد المعروف بابن أندراس ت 674هـ-1273م وهو الفقيه اللغوي الطبيب الشهير من أهل مرسية، ورد على تونس سنة 660هـ-1262م فواظب على تدريس الفقه والطب واللغة العربية بجامعة كما مارس مهنة الطب لدى ولاية بجاية (الغبريني، صفحة 73 ، 75).

أما في علم الحساب فقد انتقل إلى بلاد المغرب في الفترة المدروسة جمع ممن أحسنوا العلم حيث ساهموا في نقل خبراتهم عبر التدريس والتأليف، نذكر منهم أبو عبد الله محمد بن الصفار القرطبي 1241م-639هـ الذي كان متضلعا في علم الحساب، أصله من قرطبة درس بمراكش وفاس وتونس وغيرها من أقطار الغرب الاسلامي (بوشامة، 1991، صفحة 556)، ومن الأندلسيين الذين اشتهروا بتمكنهم من علم الحساب محمد بن إبراهيم بن محمد الأوسي المعروف بابن الرقام (ت.1315م) من أهل مرسية الذين نزلوا بتونس واستقروا فيها (بوعامر، صفحة 106).

ويعد العمران مجالا آخر أبداع فيه الأندلسيون، حيث وفد على بلاد المغرب مهندسون وبناءون من الأندلس ساهموا في تشييد القصور والمنازل الفاخرة والبساتين الأنيقة، وهذا ما ذكره ابن خلدون في قوله: "... و استدعى - أبو حمو الأول ت 718هـ-1318م- لها الصناعات والفعلية من الأندلس لحضارتها وبداعة دولتهم يومئذ بتلمسان، فبعث إليهما السلطان أبو الوليد صاحب الأندلس بالمهرة والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فشيدوا لهم القصور والمنازل والبساتين بما أعيا على الناس بعدهم أن يأتوا بمثله" (خلدون ا، ج 07، صفحة 190) وهذا مؤشر واضح على أن الأندلسيين كان لهم دور في تطوير العمران.

أما فيما يخص الموسيقى، كان هذا الفن كان مهماشا وضعيفا بسبب سياسة التضييق التي انتهجها المرابطون ومن بعدهم الموحدون، لكن توافد عدد كبير من الأندلسيين ساهم كثيرا في انعاش الموسيقى المغربية، وطبعها بالطابع الأندلسي، بعد أن قاموا بجلب فنونهم الموسيقية والغنائية معهم، فانتشر في المغرب الأقصى الطابع البلنسي والغرناطي، وسميت موسيقى الأندلسيين بالآلة، وفي المغرب الأدنى سادت الموسيقى المتأثرة بالطابع الاشبيلي، وفي المغرب الأوسط وبالأخص في حاضرة تلمسان برزت الموسيقى الأندلسية المنتمية إلى

الطابع الغرناطي بسبب العدد الكبير من الغرناطيين الذين استوطنوا مدينة تلمسان، ولا يزال هذا التأثير مستمرا حتى وقتنا الراهن (سعداني م.، صفحة 182)، ومن مظاهر ذلك التأثير أيضا إنتشار ما يسمى بالنوبة كأسلوب للتلحين بين أهل المغرب (بوعامر، صفحة 110) ومن الشخصيات الأندلسية التي ساهمت في نقل الطابع الموسيقي الأندلسي الى بلاد المغرب نذكر أبو الحسن علي بن الحسين الششتري ت 1269م الذي برع في فنون النظم المختلفة الشائعة على زمانه من القصيد والموشح والزجل واشتهر شاعراً وشاحاً زجالياً على طريقة الاندلسيين (الغبريني، صفحة 239).

ساهم الأندلسيون بقسط كبير في إثراء النشاط الاقتصادي ببلاد المغرب فقد كان هؤلاء الوافدون أصحاب مال وصنائع من الذين أسهموا في تعمير الحواضر والبوادي، بأيدي عمالة مؤهلة في مختلف الحرف خاصة صناعة النسيج حيث عرفت هذه الفترة انتشار الملابس والزرايب والأقمشة ذات الطابع الأندلسي، ومن الحرف التي شهدت تطورا مع قدوم الأندلسيين الدباغة خاصة في مدينة بجاية التي عرفت بصناعة الأحذية وتلمسان حيث برزت صناعة السروج والطبول والسناديل، ومن الحرف التي عرفت نشاطا بفضل الأندلسيين الخزف خاصة الأواني الفخارية والزليج الذي أضى منشرا بشكل واسع في العمائر المغربية (بوعامر، صفحة 125)، كما عمل الأندلسيون في مجال الفلاحة فطوّروا وسائل الريّ بإقامة السّدود والقنوات وحفروا الآبار وبنوا الرحي التي تشتغل بالماء واستعملوا النّواعير التي تدار بالريّاح كما اشتهرت بساتينهم التي تُغصّ بالأشجار المثمرة وبالبقول متقنة الحفظ والصّيانة (زروق، 1991، صفحة 78)

6. خاتمة:

ختاما ترجع الأسباب الاساسية لتلك الهجرة الواسعة التي حدثت من الأندلس نحو بلاد المغرب خلال القرنين 13 و14م إلى حالة الفوضى واللاأمن التي عمّت البلاد بسبب الثورات التي قامت ضد الموحدين في مرحلة ضعف دولتهم وحروب الاسترداد التي قادها ملوك قشتالة وأرغونة ضد الحواضر الاسلامية في الاندلس وما صاحب ذلك من غلاء وتدهور للأوضاع الاقتصادية، وخوف ورعب دبّ بين المسلمين حول مصيرهم في حال وقوعهم تحت حكم النصارى وأمام تشجيع بعض الفقهاء للهجرة من المدن التي سيطر عليها النصارى تحرك مئات الآلاف من المسلمين نحو بلاد المغرب الإسلامي.

من الصعب أخذ صورة متكاملة لتلك الهجرة الواسعة من الأندلس إلى بلاد المغرب من حيث الأعداد والفئات المهاجرة لكن المصادر التاريخية تمنحنا تصورا حول منطلقات هذه الهجرة واتجاهاتها وأماكن استقرارها في معرض ذكرها لسيرة الأسر والشخصيات التي هاجرت من الأندلس ولعبت دورا هاما في بلاد المغرب حيث لاحظنا أن إشبيلية وبلنسية ومرسية وغرناطة كانت أكثر المدن التي غادرها المسلمون نحو المغرب خلال هذه الفترة، في المقابل كانت مدن تونس وبجاية وتلمسان وسبتة وفاس ومراكش وسلا أكثر المدن استقبالا للمهاجرين الاندلسيين.

كان موقف الدويلات التي قامت في بلاد المغرب مرحبا بقدوم الأندلسيين حتى أن هذه الحفاوة بلغت درجة التنافس بين حكومات هذه الدول على الاستقدام تلك الكفاءات القادمة من شبه الجزيرة الايبيرية من علماء وأطباء وإداريين وحرفيين بالنظر إلى حاجة تلك الدويلات الفتية إلى كفاءات تساعد في بناء تلك الدول وكذلك بسبب الروابط التاريخية بين أهل المغرب والأندلس كما هو حال الحفصيين الذين أقاموا في الأندلس وتولوا مناصب إدارية في مدنه، فضلا عن الكفاءة والالتقان الذي تميز به هؤلاء في كل المجالات.

أثر قدوم الاندلسيين إلى المغرب تأثير عميقا على جميع المجالات خاصة منها الثقافية والسياسية حيث ساهموا في إنعاش التعليم وتطوير مناهجه وأثروا البلاد بإنتاجهم العلمي الغزير كما كان لهم أدوار سياسية وإدارية بارزة شملت مختلف المناصب الهامة من كتاب وقضاة وحجّاب ووزراء وسفراء، ما يعني أنهم ساهموا إلى حد كبير في بناء تلك الدول الناشئة في المغرب من ناحية الهيكلية والتأطير بواسطة تلك المناصب التي تحصلوا عليها (بوعيني، 2024، صفحة 49).

7. المصادر والمراجع:

1.7 المصادر:

1. - ابن الأبار. (1963). الحلة السيرة. مصر: الشركة العربية للنشر والتوزيع.
2. - ابن الأبار. (1995). التكملة لكتاب الصلة. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
3. - ابن القاضي. (1973). جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس. الرباط: دار المنصور للطباعة والوراقة.
4. - ابن خلدون. (2000). العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. بيروت: دار الفكر.
5. - ابن خلدون. (بلا تاريخ). المقدمة.

6. - أحمد رزوق. (1991). دراسات في تاريخ المغرب. الاسكندرية: دار أفريقيا الشرق.
 7. - التنبكتي. (2004). كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
 8. - الزركلي. (2002). خير الدين الزركلي، الأعلام ج6. لبنان: دار العلم للملايين.
 9. - الغبريني. (1981). عنوان الدراية فيمن عرف العلماء في المائة السابعة ببجاية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
 10. - محمد بن عبد المنعم الحميري. (1984). الروض المعطار في خبر الأقطار. لبنان: مكتبة لبنان.
 11. - المقري. (1968). كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ج5. بيروت: دار صادر.
- 2.7 المراجع:**
12. - بن يحيى مصطفى. (2022). التأثير الأندلسي في مناهج التعليم في المغرب الأوسط في العهد الزياني. مجلة العلوم الانسانية والحضارة، المجلد 04(العدد03).
 13. - بوعامر مريم. (2010). الهجرة الأندلسية الى المغرب الأدنى و دورها في الازدهار الحضاري. تلمسان، قسم التاريخ، تلمسان الجزائر: جامعة تلمسان.
 14. - حورية سكاكو. (2014/2013). التحولات الاقتصادية في المغرب الأوسط خلال العهدين الموحي والزياني من القرنين (06-12/10-16م). ماجيستر. تلمسان، قسم التاريخ، الجزائر: جامعة تلمسان.
 15. - روبر برنشفيك. (1988). تاريخ إفريقية في العهد الحفصي. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
 16. - سهام بوعنيني. (2024). حركة التعليم وطرائق التدريس بتلمسان الزيانية أنموذجا سعيد العقباني معلما. مجلة السامرة للدراسات الانسانية والاجتماعية، 10(02)، 45-64.
 17. - عاشور بوشامة. (1991). علاقات الدولة الحفصية مع دول المغرب والأندلس، (626هـ-981هـ/1228م-1573م). القاهرة، كلية الآداب، القاهرة: جامعة القاهرة.
 18. - عبد الرحمن علي حجي. (1981). تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى سقوط غرناطة. دمشق: دار القلم.
 19. - عبد الله العروي. (2000). مجمل تاريخ المغرب، ج2. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
 20. - عبد الهادي بياض. (2008). الكوراث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الانسان في المغرب والأندلس (ق06هـ-07هـ/12م-13م). بيروت: دار الطليعة.
 21. - عصمت دندش. (1995). الغرب الإسلامي والغرب المسيحي خلال العصور الوسطى. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية.
 22. - عمارة سيدي محمد. (2013). هجرة الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرن 13م ودورهم الثقافي. وهران، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، وهران الجزائر: جامعة وهران.
 23. - فيلالى عبد العزيز. (2002). تلمسان في العهد الزياني ج1. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
 24. - محمد الأمين بلغيث. (2007). فصول في التاريخ والعمران ببلاد المغرب الإسلامي. الجزائر: منشورات انتر سيني.
 25. - محمد الشريف قاهر. (بلا تاريخ). لسان الدين بن الخطيب وتراثه الفكري في تلمسان. (وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المحرر) مجلة الدراسات الإسلامية، 15، 10.

26. - محمد الطالببي. (1975). محمد الطالببي ، الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين ، الأصالة ، العدد: 26 ، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، 1975م ، ص54 . (وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، المحرر) مجلة الأصالة، 26، 54.
27. - محمد القرطوطي. (2004). جهاد الموحدين في الأندلس. الجزائر: دار هومة للنشر والتوزيع.
28. - محمد بن أحمد بن شقرون. (1985). مظاهر الثقافة المغربية . المغرب: دار الثقافة.
29. - محمد رزوق. (1991). دراسات في تاريخ المغرب. الاسكندرية: دار إفريقيا الشرق .
30. - محمد زروق. (1991). الأندلسيون كقوة اجتماعية داخل المجتمع المغربي، ضمن كتاب جوانب من التاريخ الاجتماعي للبلدان المتوسطية خلال العصر الوسيط. مكناس: كلية الآداب والعلوم الانسانية.
31. - محمد زنبير. (1994). أزمة الحكم الموحد. تأليف الاسطوغرافيا والأزمة. المغرب : منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية.
32. - محمد سعداني. (2017). الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط ق 7-9هـ / 13-15 م . وهران، قسم التاريخ، الجزائر: جامعة وهران.
33. - محمد سيف الاسلام بوفلاقة. (مارس، 2021). إسهامات علماء الأندلس في خدمة التاريخ والتراجم: ابن الخطيب وكتابه الإحاطة في أخبار غرناطة نموذجاً. مجلة مدارات، المجلد3(01).
34. - محمد عبد الله عنان. (1990). دولة الإسلام في الأندلس. القاهرة: مكتبة الخانجي.
35. - مريم بوعامر. (2010). التحولات الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال العهدين الموحد والزياني. تلمسان، تلمسان الجزائر: جامعة تلمسان.
36. - ناصر الدين سعيدوني. (1993). التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية و مكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق 6 – 7 هـ / 12 – 13 م). ندوة الأندلس قرون من التقلبات و العطاءات. الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز.

3.7 باللغة الأجنبية:

37. Joseph F O' Callaghan. (1975). A History of Médiéval Spain. Spain: Cornell University Press.